

الحلقة (٤)

عنوان الحلقة / أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

عناصر الحلقة:

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور إجمالاً:

١. تفسير ابن عباس
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري
٣. محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية
٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي إجمالاً:

١. مفاتيح الغيب للرازي.
٢. البحر المحيط لأبي حيان،
٣. الكشف للزمخشري،

❖ أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور إجمالاً

الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور كثيرة جداً منها التفسير المنسوب لابن عباس وسنتكلم عنه إن شاء الله وتفسير ابن عيينه وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير أبي الشيخ ابن حبان، وتفسير ابن عطية وتفسير أبي الليث السمرقندي، وتفسير أبي إسحاق الثعلبي الكشف والبيان، وتفسير القرآن، وتفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير ابن أبي شيبه، وتفسير البغوي معالم التنزيل، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وفتح القدير للشوكاني رحم الله الجميع،

١/ تفسير ابن عباس

تفسير ابن عباس المنسوب إليه ويسمى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس هذا جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي صاحب القاموس المحيط، ومعلوم عن ابن عباس أنه حبر الأمة وترجمان القرآن وهو الإمام وسبب إمامته بركة دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما دعا له (اللَّهُمَّ فقه في الدين وعلمه التأويل) وأيضاً إمامه بلغة العرب وحفظه الكثير من أشعارها، أيضاً ما أوتي من دقة الفهم والاستنباط وأيضاً عنايته بهذا العلم، كان يحضر مجالس الصحابة ويسألهم عن ما أشكل عليه.

أُتهم ابن عباس من قبل جولد زيهر في كتابه المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن بأن ابن عباس

توسع في الأخذ عن أهل الكتاب وهذا الكلام غير صحيح وجرى على هذا الإتهام أحمد أمين في فجر الإسلام وقد رُد عليهما أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكثر في الأخذ عن أهل الكتاب وما أخذه عنهم لا يمس العقيدة ولا يمس أصول الدين ولكن قد تكون من الأمور التي قد تكون حقاً وقد تكون غير ذلك لكنه أيضاً قليل.

العلماء رحمهم الله اعتنوا بتفسير ابن عباس ونظروا في الطرق الموصلة لابن عباس وجمعوا هذه الطرق وصنفوها ورتبوها **ووجدوها ما يلي من الطرق:**

■ **أولاً:** طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذه هي أجود الطرق وأفضلها حتى قال الإمام أحمد "إن في مصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً" وهذه النسخة اعتمد عليها البخاري رحمه الله في صحيحه.

■ **ثانياً:** طريق قيس ابن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه أيضاً طريق صحيحة على شرط الشيخين.

■ **ثالثاً:** طريق ابن إسحاق صاحب السير عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه طريق جيدة إسنادها حسن.

■ **رابعاً:** طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس ولكن هذا السدي مختلف فيه وهو تابعي شيعي وكثير من الأئمة لا يرتضون روايته وهو ضعيف.

■ **خامساً:** هي طريق عبد الملك بن جريج عن ابن عباس وهذه الطريقة تحتاج إلى دقة في البحث لأنها تحوي الغث والسمين والصحيح والسقيم.

■ **سادساً:** طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس وهذه الطريقة غير صحيحة لأن الضحاك مختلف في توثيقه ثم أيضاً الطريق لابن عباس منقطعة لأن الضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.

■ **سابعاً:** طريق عطية العوفي عن ابن عباس وهي أيضاً غير مقبولة لأن عطية ضعيف.

على كل حال معظم ما في هذا الكتاب تنوير المقباس عن ابن عباس يدور إن لم يكن جميعه على محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح وقد عرفنا فيما سبق أن هذه الرواية ضعيفة

٢/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن لإمام المفسرين وشيخهم أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى وهو إمام زمانه ألف هذا الكتاب العظيم وهو كتاب التفسير وسماه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وقد استفاد العلماء منه حتى قال ابن خزيمة "لو رحل أحد إلى مكان كذا من أجل تفسير

ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً" والمفسرون عالة على ابن جرير كما قال العلماء، هذا الكتاب فقد زمناً ما ثم وجدت له نسخة في حيازة أمير حائل سابقاً حمود الرشيد من أمراء نجد وبعد ذلك ولله الحمد طبع الكتاب فتداول وأصبح في أيدي الناس فلله الحمد، وهذا التفسير له قيمته وله جلالته يقول عنه السيوطي رحمه الله تعالى "وكتابه يعنى "تفسير ابن جرير" أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض" وقال الإمام النووي "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"

فما منهج ابن جرير في تفسيره؟ منهجه أنه يقول في بداية كل آية "القول في تأويل قوله تعالى" ويذكر الآية ثم يبدأ يفسر الآية بما يرويه بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة إلى التابعين، فيوجه الأقوال ويرجح بينها كما أنه رحمه الله يتعرض للإعراب واستنباط الأحكام، وأيضاً يتوقف عند رجال الإسناد يتكلم عليهم تعديلاً وتوثيقاً أو رداً وعدم قبول، أيضاً رحمه الله كان يعتني بذكر القراءات وتوجيهها وهو الإمام المشهور في القراءات رحمه الله، أيضاً أخذ جملة من أخبار بني إسرائيل "الإسرائيليات" وجعلها في كتابه، وهو يعتبر مرجع لا غنى لطلبة العلم عنه بل والعلماء أيضاً، فالمفسرون عالة على ابن جرير، هذا الكتاب طبع عدة طبعات وله طبعات غير محققة ومصورة كثيراً وطبعة حققها الشيخ أحمد شاکر ولكن لم يكملها، وفي هذه الأيام قام معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مع جمع من الباحثين بتحقيق الكتاب ونشره بين الناس فجزاهم الله خيراً،

٣/ محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

أيضاً من كتب التفسير بالمأثور المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية من قضاة الأندلس المشهورين والعلماء، نشأ في بيت علم وفضل كان فقيهاً جليلاً عارفاً بعلوم الحديث والتفسير واللغة والأدب كان من الأذكياء، ومن أعيان الفقه المالكي، ألف هذا التفسير محرر الوجيز وقد لخص فيه المنقول عن الصحابة والتابعين، ولم يذكر الحقيقة الأسانيد وكانت له أيضاً شخصية واضحة في كتابه فكان يكثر من الشواهد الشعرية والإعراب وتوجيه القراءات، وله أيضاً اختيار وترجيح في هذا الباب، شيخ الإسلام ابن تيمية أثنى على هذا الكتاب وقال "تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير" وقال أيضاً "تفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة" إلى آخر كلامه رحمه الله، فتفسير ابن عطية من الكتب المعتمدة وله طبعتان في السوق الآن طبعة مغربية حققها المجمع العلمي بفاس وهي متداولة ومشهورة والطبعة الأخرى طبعها دولة قطر في إدارة الأوقاف وهاتان الطبعتان موجودتان في الأسواق،

٤/ تفسير القرآن العظيم لابن كثير

من كتب التفسير بالمأثور أيضاً "تفسير القرآن العظيم" للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله وهو الإمام الجليل من أئمة العلم في التفسير والحديث والتاريخ له كتاب البداية والنهاية وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، اشتهر بعلم التفسير وألف هذا الكتاب الذي يعتبر عند العلماء في المرتبة الثانية في التفسير بالمأثور بعد ابن جرير الطبري رحمه الله، وهو خير من فسر كلام الله تعالى والتزم منهج شيخ الإسلام وهو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بالمروى عن الصحابة وما روي عن التابعين وكان رحمه الله يرجح الأقوال ويضعف الروايات ويعتني كثيراً بذكر الأحاديث بأسانيدھا، فينقل عن الإمام أحمد في البداية وعن الشيخين البخاري ومسلم وعن غيرهم من كتب التفسير والحديث المفقودة والموجودة، وهذا التفسير يجمع بين التفسير بالمأثور وبين بروز شخصيته في ذكر الأحكام الفقهية والترجيحات والاختيارات يناقش المذاهب والأدلة، وقد طبع عدة طبعات طبع مع معالم التنزيل للبغوي طبعة واحدة، وطبع أيضاً مستقلاً طبعة الشعب طبعة مستقلة وطبع أيضاً طبعات وحقت في هذه الأزمنة وهذه الأوقات وهي والله الحمد فيها خير كثير وإن كان في بعضها نقص وخلل،

❖ أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي إجمالاً.

منھا : تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم وتفسير أبو علي الجبائي وتفسير عبد الجبار وتفسير الكشاف للزمخشري وتفسير مفاتيح الغيب للرازي وتفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن والبحر المحيط لأبي حيان وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وغيرهم من كتب التفسير وسوف نتحدث عن بعضها،

١/ الكشاف للزمخشري

من كتب التفسير بالرأي الكشاف للزمخشري وهو جار الله محمود بن عمر الزمخشري وهو إمام في علم البلاغة وعلم النحو وعلم الأدب وآراءه في علم البلاغة والنحو والأدب يتناولها العلماء ويعتمدون عليها، ولكن الزمخشري كما هو معروف عنه معتزلي الاعتقاد بل هو شديد في التشبث ببدعته و باعتزالياته، وقد ألف كتابه الكشاف في التفسير وضمنه الكثير وسماه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" وقد دس فيه اعتزالياته دساً دقيقاً حتى إن بعض الناس قد يقرأ فلا ينتبه لاعتزالياته، مثلاً عندما يأتي لذكر نعيم الجنة يقول "وليس بعد هذا النعيم نعيم" وهذا غير صحيح بل هناك ما هو أعظم مما يذكر في هذه الآية وهو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، لأن معتقد المعتزلة نفي رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة، ولا شك أن معتقد أهل السنة والجماعة إثبات الرؤية بل هي أعظم النعيم، أسأل الله تبارك وتعالى أن يكرمني وإياكم بذلك، وهذه الاعتزاليات دقيقة جداً وقد تعقبه العلماء رحمهم الله تعالى، مثل ابن المنير طبعت حاشيته الانتصاف في حاشيته ونبه على كثير من اعتزالياته وقال إنني استخرجتها بالمناقش، أيضاً أبوحيان في

البحر المحيط تعقبه في اعتزالياته الكثيرة ونبهوا على أخطائه فيها.

٢/ مفاتيح الغيب للرازي

أيضاً من كتب التفسير بالرأي مفاتيح الغيب والمسمى التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وهو إمام زمانه ألف في فنون كثيرة ومؤلفات وعلوم معروفة ومشهورة ومن ذلك كتابه التفسير الكبير وهو بحق تفسير كبير أربعة وثلاثين جزءاً كتاب ضخمة، وقد أثير تساؤل **هل ألفه لوحده أم اشترك معه غيره؟** فكان للناس في ذلك مذاهب، بعضهم قال ألف حتى سورة الأنبياء ثم جاء بعده شهاب الدين الحوي فشرع في تكملة هذا التفسير ولم يتمه، ثم جاء بعده نجم الدين القمولي فأكمل ما بقي منه ولا ندري هل هذا صحيح أو لا، والحقيقة من يرى الكتاب فلا يجد فيه تفاوتاً كبيراً، ومعروف الإنسان قد يصيبه ضعف في بعض الأحيان ثم ينشط في التفسير وقد يضعف وهذه قدرات ومواهب من الله تبارك وتعالى والحقيقة أنه في بعض السور كان ينص يقول انتهيت من تفسيرها ويذكر اسمه في كذا وكذا هذا معناه أنه له، لكن المختلف فيه بعض السور والأجزاء لا يعرف أي من تكملة تلاميذه أم منه ويرجح بعضهم أن هذا التفسير كله له وأنه لم يكمله أحد، والسبب أن المنهج متقارب، ومن جهة أخرى أن الإنسان قد ينشط للتأليف في زمن وقد يضعف في زمن آخر، وهذه سنة الله في الحياة، فهذه الكتب لا تؤلف في يوم وليلة بل تؤلف في أزمنة وعصور وفي أوقات متنوعة والإنسان تعثره الظروف وتعثره أحوال كثيرة، **والصحيح** أن هذا الكتاب فيه التفسير وفيه غير التفسير، أما أن يقال ليس فيه شيء من التفسير فهذا إجحاف بل فيه قراءات وفيه أسباب نزول وفيه استنباطات وفيه لطائف وفيه نقل أقوال العلماء في التفسير، نعم هو صحيح توسع عفا الله عنه في نقل أقوال أهل الفلسفة والصوفية والتوسع في علم الفلك والهيئة وعلم الرياضيات وغير ذلك ما في شك، لكن هذا لا يغمطه حقه فهو كتاب يعتمد عليه ويرجع إليه المتخصصون في علم التفسير.

٣/ البحر المحيط لأبي حيان

ومن كتب التفسير بالرأي كتاب تفسير البحر المحيط لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي توفي عام ٧٤٥ وقيل ٧٤٩ للهجرة إمام زمانه في التفسير وفي اللغة وفي النحو والإعراب والصرف وأيضاً في الأصول وغير ذلك، هذا الرجل ألف كتابه تفسير البحر المحيط وهو على اسمه بحر محيط وقد جعل له مقدمة نافعة ضمنها كثير من المباحث كتعريف التفسير وبين منهجه في هذا الكتاب وتحدث أيضاً عن موقفه من أنه سينقل كثيراً عن ابن عطية في المحرر الوجيز وعن الزمخشري من كتابه الكشاف، هذا الكتاب طبع في ثمان مجلدات ثم طبع مرة أخرى طبعة غير محققة وإنما هي صف جديد فنسأل الله أن يهيئ لهذا الكتاب من يطبعه لأن هذا الكتاب ينقل عن كتب مفقودة غير موجودة ويجمع الكثير حقيقة خاصة في باب القراءات وفي توجيه القراءات ما لا يوجد له

نظير، فنسأل الله جل وعلا أن يهيئ له من يقوم بتحقيقه وإخراجه على الوجه المطلوب وطباعته لينتفع به الناس.

أبو حيان يعتني بذكر القراءات وتوجيهها فهذا منهجه، منهجه أنه يذكر المناسبات أولاً بين الآيات والسور ويذكر أيضاً القراءات وتوجيهها وينقل أقوال المفسرين في معنى الآيات، يفسر المفردات على حدة، أيضاً يعتني بمسائل النحو والإعراب والبلاغة، وقد سجلت في هذا رسائل ماجستير ورسائل دكتوراة، أيضاً يعتني بالاستنباط والدقة، يرد على أصحاب المذاهب الضالة، ذكرت آنفاً أن أبا حيان ينقل كثيراً عن الزمخشري في كتابه الكشف وعن ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز لا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، وكان يتعقبهما كثيراً بالرد ويحمل عليهما حملاً فيه قسوة بعض الأحيان خاصة في اتجاه الزمخشري، كانت مناقشاته مع الزمخشري مناقشات حادة وشديدة جداً والحقيقة ما في شك أن الزمخشري وقعت منه زلات وأذكر في هذا المقام مثلاً: أن الزمخشري كما هو معروف رد قراءة ابن عامر في قوله تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ } في مسألة معروفة في الفصل بين المضاف والمضاف إليه يعني إلى آخره مسألة نحوية معروفة، المهم أن الزمخشري رد قراءة ابن عامر وابن عامر معروف أحد القراء السبعة المعروفين فلما رد قراءته غضب أبو حيان وقال عبارته المشهورة في تفسير الآية وأعجب لعجمي (فالزمخشري أصله أعجمي وهو من أئمة اللغة والنحو) ضعيف في النحو يتجراً على قراءة ابن عامر فيردها أو كما قال ثم قال: كيف يرد الإمام المقرئ والذي أخذ عن جملة من الصحابة فتوسع فيها فانظروا كيف القسوة قال رجل عجمي وضعيف في النحو وكيف يتجراً ويرد فأبو حيان هنا ما قال إلا الحق في رده على الزمخشري وتعقبه عليه، على كل حال مناقشاته مع ابن عطية كذلك كان يناقشه في المسائل التي له فيها وجهة نظر لكن كانت مناقشاته أخف وأسهل وعباراته معه وإن كان في بعضها قسوة ولكن ليست بتلك القسوة التي كانت مع الزمخشري، وأيضاً الزمخشري معتزلي وأبي حيان تعقبه في اعتزالياته ورد عليه فيها.

أبو حيان اعتمد على جملة من الكتب ومصادر متنوعة وقد نقل كثيراً عن شيخه أبي جعفر الغرناطي الثقفي، أيضاً اعتمد كثيراً على كتاب شيخه ابن النقيب في كتابه التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير، لشيخه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب وقد ذكر أن هذا كتاب ضخيم وكبير وقد اعتمد عليه أبي حيان كثيراً واستفاد منه